مِنْ دِرْعٍ وَاقٍ بِشَكْلِ قُبَّةٍ. هُوَ الْعَلامَةُ الْفَارِقَةُ لَها. إِنَّ بَطْنَ السُّلَحْفاةِ أَيْضًا وَلَيْسَ فَقَط ظَهْرُها مُسَلَّحٌ بِأَرْضِيَّةٍ صَلْبَةٍ.

وَكُنَّا صِغارًا نَضْرِبُ السُّلَحْفاةَ الَّتي نُمسِكُ بِها فِي صَخْرَةٍ، بَعْدَ أَنْ تَكونَ قَدْ دَخَلَتْ فِي دِرْعِها، لِنَرى إِنْ كُنَّا نَسْتَطيعُ كَسْرَ هذا الْحِصْنِ الْحَصينِ، أَوْ لِنُحْمِلَها عَلى إِخْراجِ رَأْسِها، فَلا نَنْجَحُ فِي ذلِكَ مَهْما حاوَلْنا، وَلا نَضُرُّ الدِّرْعَ الْعَظْمِيَّ إِلّا قَليلاً. وَكَمْ كُنَّا نَقْلِبُ هذه السُّلاحِفَ عَلى ظَهْرِها، لِنَعْرِفَ إِنْ كانَتْ تَسْتَطيعُ الْعَوْدَةَ إِلى وَضْعِها الطَّبيعِيِّ، أَوْ إِنْ كانَتْ سَتُخْرِجُ رِجْلَيْها، كَما تَفْعَلُ أَصْغَرُ الصَّراصيرِ، فَلا نُصيبُ نَجاحًا.

وَلكِنْ قُبَّةُ الْبَيْتِ - الظَّهْرَ - لَيْسَتْ قَبيحَةً بِالْمَرَّةِ. بَلْ هِيَ مَنْقوشَةٌ بِدَوائِرَ جَميلَةٍ مُلَوَّنَةٍ بِالْبُنِّيِّ وَالأَخْضَرِ، مُتَجاوِرَةٌ كَقِطَعٍ مِنَ الْفُسَيْفِساءِ. وَيَرى عُلَماءُ الْحَيَوانِ أَنَّهُ مِنْ خِلالِ إِحْصائِهِمْ لِهذِهِ الْحَلَقاتِ عَلى ظَهْرِ السُّلَحْفاةِ، يَسْتَطيعونَ حِسابَ عُمْرِها، وَهِيَ حَيَواناتٌ مَوْصوفَةٌ بِطولِ الْعُمْرِ. وَقَدْ يَطولُ بِها الْعُمْرُ أَكْثَرَ مِنْ 100 سَنَةٍ فِي بَعْضِ الأَنْواعِ، وَهُناكَ مَنْ يَقولُ بَلْ أَكْثَرْ مِنْ ذلِكَ بِكَثيرٍ. وَاللّهُ أَعْلَمُ.

تَكاثُرُ السُّلاحِفِ

كُنْتَ رُبَّما تَتَوَقَّعُ أَنْ تُفَرِّخَ السُّلاحِفُ الْكَبيرَةُ سَلاحِفَ صَغيرَةً، تَخْرُجُ إِلى النّورِ لِتَرْعى فِي الْحَقْلِ بِمَعِيَّةِ أُمَّهاتِها. وَلكِنَّكَ مُخْطِئٌ فِي ذلِكَ. فَالسُّلاحِفُ تَضَعُ بَيْضًا فَقَطْ، حَتّى لَوْ كانَتْ بِحَجْمِ ثَوْرٍ كَبيرٍ. وَهِيَ لا تَرْقُدُ عَلى بَيْضِها، وَلا تُعيرُهُ عَظيمَ اهْتِمامٍ بَعْدَ وَضْعِهِ، وَرُبَّما نَسِيَتْ مَوْضِعَهُ أَيْضًا. كُلُّ ما هُنالِكَ أَنَّها تُهيلُ عَلَيْهِ قَليلاً مِنَ التُّرابِ، بَعْدَ أَنْ تَضَعَهُ فِي حُفْرَةٍ، أَو تُفْرِزُ فَوْقَهُ مادَّةً مُلَيِّنَةً مِنْ مُؤَخَّرَتِها، ثُمَّ تَتْرُكُهُ وَلا تُعاوِدُهُ أَبَدًا.

وَلِلدُّميري رَأْيٌ مُوَفَّقٌ فِي ذلِكَ. فَهُوَ يَقولُ أَنَّ السُّلَحْفاةَ لا تَجْلِسُ عَلى بَيْضِها مَخافَةَ تَكْسيرِهِ بِسَبَبِ دِرْعِها الصَّلْبِ الْقائِمِ أَسْفَلَ بَطْنِها. ثُمَّ يَقولُ إِنَّ السُّلَحْفاةَ تَجْعَلُ بَيْضَها يَفْقِسُ بِأَنْ تُداوِمَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، بَدَلَ الْجُلوسِ فَوْقَهُ - وَهُوَ قَوْلٌ بِحاجَةٍ إِلى دَليلٍ.

الْوِلادَةُ فِي عالَمٍ قاسٍ

وَالسُّلاحِفُ الْبَحْرِيَّةُ أَكْثَرُ خُصْبًا مِنَ السُّلاحِفِ الْبَرِّيَّةِ، فَالأَخيرَةُ لا تَضَعُ أَكْثَرَ مِنْ 5-6 بَيْضاتٍ وَلِمَرَّةٍ واحِدَةٍ فِي السَّنَةِ. بَيْنَما السُّلاحِفُ الْبَحْرِيَّةُ تَضَعُ بُيوضًا مَرَّتَيْنِ إِلى ثَلاثِ مَرّاتٍ فِي السَّنَةِ، وَما يُقارِبُ الـ 200 بَيْضَةٍ فِي الْمَرَّةِ الْواحِدَةِ.

وَتَخْرُجُ السُّلاحِفُ الصَّغيرَةُ مِنْ بُيوضِها بَعْدَ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ بِقُواها الذّاتِيَّةِ، وَآيَةُ ذلِكَ أَنَّ فَرْخَ السُّلَحْفاةِ الصَّغيرِ الْمُتَكَوِّنُ داخِلَ الْبَيْضَةِ، يَمْلِكُ سِنًّا خاصًّا يَنْقُرُ بِهِ الْبَيْضَةَ

Scanned by TapScanner

مِنَ الدّاخِلِ. وَهذِهِ السِّنُّ تَسْقُطُ بَعْدَ أَنْ تُتِمَّ مُهِمَّتَها.

وَلكِنْ مُعْظَمَ السَّلاحِفِ الصَّغيرَةِ الَّتي تَخْرُجُ إلى النّورِ تَصْطَدِمُ بِعالَمٍ وَحْشِيٍّ مُرْعِبٍ. فَمُعْظَمُها يَلْقى مَصيرًا مُظْلِمًا، إِذْ يُصْبِحُ طُعْمًا سَهْلًا لِلضَّواري مِنَ الْحَيَواناتِ الْمُفْتَرِسَةِ.

غِذاءُ السَّلاحِفِ

السُّلْحَفاةُ حَيَوانٌ نَباتِيٌّ في الأَساسِ. وَلكِنْ هُناكَ شَواذٌّ عَنِ الْقاعِدَةِ. فَالسَّلاحِفُ النَّهْرِيَّةُ تَأْكُلُ الأَعْشابَ وَلا تَمُرُّ مَرَّ الْكِرامِ عَلى هُلامِيّاتِ الْبَحْرِ، أَوْ فَقاريّاتِهِ، أَوْ حَتّى جُثَثِ الْحَيَواناتِ الْمَيِّتَةِ، الَّتي تَقْضِمُ مِنْها، وَهِيَ تُمْسِكُها بِرِجْلَيْها الأَماميَتَيْنِ، قَضَماتٍ صَغيرَةٍ مُتَسارِعَةٍ.

وَلا تَمْلِكُ السَّلاحِفُ الأَسنانَ، وَبَدَلَ الأَسْنانِ يَتَغَطّى فَكّاها بِطَبَقَةٍ قَرْنِيَّةٍ صَلْبَةٍ تُساعِدُها في هَضْمِ طَعامِها.

وإذا شِئْنا التَّصْنيفَ، قُلْنا أَنَّ السَّلاحِفَ الْبَرِّيَّةَ هِيَ النَّباتِيَّةُ عُمومًا، بَيْنَما سَلاحِفُ النَّهْرِ وَسَلاحِفُ الْبَحْرِ، فَتُضَمُّ إلى قائِمَةِ طَعامِها اللَّحْمَ.

وَيَقولُ الدُّميرِيُّ أَنَّ السَّلاحِفَ الْبَرِّيَّةَ تُحِبُّ أَنْ تَأْكُلَ الأَفاعيَ. وَهِيَ بَعْدَ أَنْ تُنْهي وَجْبَةً شَهِيَّةً مِنْ لَحْمِ الْحَيّاتِ، تَلْتَهِمُ شَيْئًا مِنَ الزَّعْتَرِ. بَلْ إِنَّ السُّلَحْفاةَ بِرَأْيِهِ تَسْتَطيعُ قَتْلَ الْحَيَّةِ وَهِيَ تَسْتَعْمِلُ في ذلِكَ حيلَةً أَصيلَةً: "وَرُبَّما تَقْبِضُ السُّلَحْفاةُ عَلى ذَنَبِ الْحَيَّةِ، فَتَقْطَعُ رَأْسَها وَتَمْضَغُ ذَنَبَها، بَيْنَما الْحَيَّةُ تَضْرِبُ نَفْسَها عَلى ظَهْرِ السُّلَحْفاةِ، وَعلى الأَرْضِ حَتّى تَموتَ. وَهُناكَ مَنْ يَقولُ أَنَّ السُّلَحْفاةَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَعيشَ 20 يَوْمًا دونَ أَنْ تَتَناوَلَ أَيَّ غِذاءٍ»

وَتُحِبُّ السَّلاحِفُ الْماءَ. وَهِيَ حَقيقَةٌ لا مِراءَ فيها. وَلا نَسْتَثْني مِنْ ذلِكَ السَّلاحِفَ الْبَرِّيَّةَ، الَّتي وَعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ حاجَتَها لِماءِ الشُّرْبِ تَسْتَوفيهِ مِنَ الأَعْشابِ الَّتي تَأْكُلُها، إِلّا أَنَّها تَشْرَبُ الْمِياهَ شُرْبًا إذا وُجِدَ، كَما تَفْعَلُ الْقِطَطُ مَعَ اللَّبَنِ. بَلْ هِيَ جاهِزَةٌ أَنْ تَجْلِسَ في الْمِياهِ ساعاتٍ طَويلَةٍ لَوْ سَنَحَتْ لَها الْفُرْصَةُ.

مَنافِعُ السَّلاحِفِ

لا أَمَلَ أَنْ يَسْتَطيعَ الإِنْسانُ رُكوبَ السَّلاحِفِ، حَتّى الْكَبيرَةُ مِنْها بِحَجْمِ الْحِمارِ. فَهِيَ بَطيئَةٌ مَوْصوفَةٌ بِالْبُطْءِ، وَالإِنْسانُ عَجولٌ مَوْصوفٌ بِالْعَجَلَةِ. ما رَأْيُكُمْ إِذَنْ بِوَجْبَةٍ مِنَ الطَّعامِ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ لَحْمِ السَّلاحِفِ، أَوْ بِشوربَةِ سَلاحِفٍ لا يَأْكُلُها إِلّا الْموسِرونَ؟

Scanned by TapScanner

لا تَسْتَغْرِبوا، فَإِنَّ لُحومَ السَّلاحِفِ البَحْرِيَّةِ تُشَكِّلُ مَصْدَرًا لِلْغِذاءِ في كَثيرٍ مِنَ البُلْدانِ. بَلْ وَلا يَتَنازَلُ النّاس في بَعْضِ الْجُزُرِ عَنْ بُيوضِ السَّلاحِفِ الْبَحْرِيَّةِ. فَتَراهُمْ يَجْمَعونَها وَيُتْجِرون بِها طَعامًا مَطلوبًا.

أمّا الْعَرَبُ الْقُدَماءُ فَقَدْ اخْتَلَفوا في هذه الْمَسْأَلَةِ. وَجَعَلوها مَسْأَلَةً فِقْهِيَّةً كَغَيْرِها مِنَ الْمَسائِلِ. فَمِنَ الْفُقَهاءِ مَنْ أَحَلَّ أَكْلَ السُّلَحْفاةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّمَهُ. وَيَذْكُرُ الدَّميري قَوْلَ ابْنِ حَزْمٍ، أَنَّ السَّلاحِفَ الْبَرِّيَّةَ وَالْبَحْرِيَّةَ حَلالٌ، كَذلِكَ حَلالٌ أَكْلُ بَيْضِها.

وَثَمَّةَ فائِدَةٌ أُخْرى لِلسَّلاحِفِ في حَياةِ النّاسِ. فَدُروعُ السَّلاحِفِ الصُّلْبَةُ تُسْتَعْمَلُ في صِناعَةٍ رائِجَةٍ لأَنْواعٍ خاصَّةٍ مِنَ الأَمْشاطِ وَأَدَواتِ الزِّينَةِ. وَقَدْ عَرَفَ الْعَرَبُ قَديمًا هذِهِ الصِّناعَةَ.

وَيَجِدُ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ وَخُصوصًا الأوروبِيينَ مُتْعَةً كَبيرَةً في اقْتِناءِ السَّلاحِفِ في الْبُيوتِ. فَهِيَ حَيَواناتٌ غَيْرُ مُؤْذِيَةٍ وَنَظيفَةٌ، كَما أَنَّها تَأْكُلُ مِنْ يَدِ صاحِبِها إِذا أَلِفَتْهُ وَدونَ أَنْ تَخْشاهُ. أَمّا صِفاتُها مِنَ الْحَذَرِ وَالْخِشْيَةِ، وَخُصوصًا ما تَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ حاسَّةِ سَمْعٍ قَوِيَّةٍ، فَهِيَ مَوْضِعُ نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ لِلصِّغارِ وَالْكِبارِ.

السُّلَحْفاةُ في التُّراثِ

في الْمَوْروثِ الشَّعْبِيِّ تَكونُ السَّلاحِفُ رَمْزَ الْبَطْءِ. وَبِما أَنَّ الْبَليدَ بَطيءٌ عادَةً، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقولُ "أَبْلَدُ مِنْ سُلَحْفاةٍ".

وفي قِصَصِ الأَطْفالِ تَتَقَدَّمُ السُّلَحْفاةُ الْمُواظِبَةُ، عَلى الأَرْنَبِ السَّريعِ الْكَسولِ في مُسابَقَةٍ بَيْنَهُما، وَذلِكَ عِنْدَما اسْتَهانَ الأَرْنَبُ بِمُنافِسَتِهِ، فَنامَ في الطَّريقِ، وَفازَتِ السُّلَحْفاةُ.

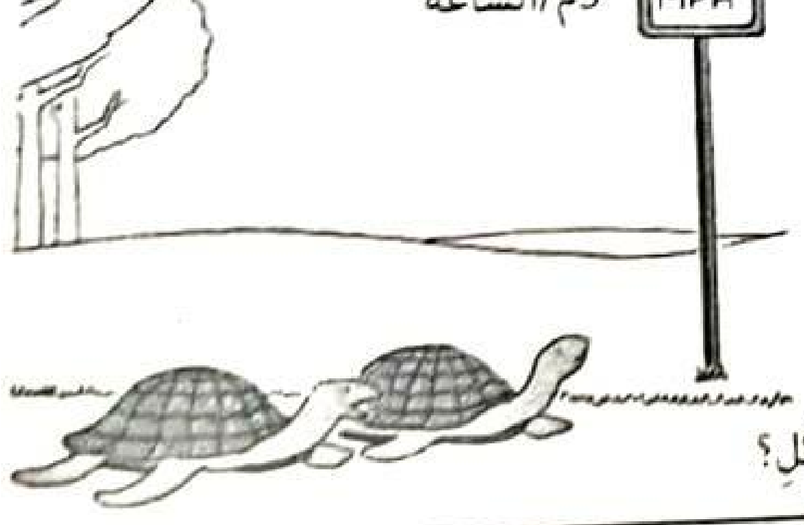

لِماذا أَصْبَحَتِ الْحَياةُ سَريعَةً بِهذا الشَّكْلِ؟

Scanned by TapScanner

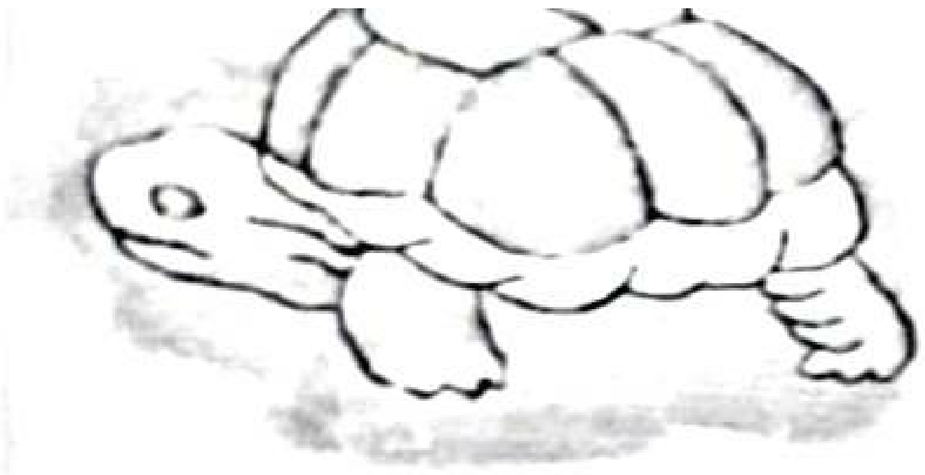

مَجالُ القِراءَةِ

السُّلَحْفاةُ يا طَويلَ الْعُمْرِ!

هَذا حَيَوانٌ لَطيفٌ وَديعٌ مُؤَدَّبٌ غايَةَ الأَدَبِ. خَجولٌ. مُسالِمٌ وَغَيْرُ مُؤْذٍ. يأْكُلُ إِذا تَرَكْتَهُ يأْكُلُ. وَيَسيرُ إِذا سَمَحْتَ لَهُ بِالسَّيْرِ. فَإِذا لَمْ يُعْجِبْكَ أَكْلُهُ أَوْ سَيْرُهُ، بادَرَ إِلى إِخْفاءِ رَأْسِهِ وَقَوائِمِهِ داخِلَ بَيْتِهِ الَّذي يَحْمِلُهُ فَوْقَ ظَهْرِهِ، كَأَنَّما يَعْتَذِرُ لَكَ عَمّا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ سُلوكٍ.

خَلْفِيَّةٌ تاريخِيَّةٌ

السَّلاحِفُ أَقْدَمُ الزَّواحِفِ الَّتي ظَهَرَتْ فَوْقَ وَجْهِ الأَرْضِ. أَجْدادُ السَّلاحِفِ الأَوَّلينَ ظَهَروا قَبْلَ 250 مِليونَ سَنَةٍ. وَمِنْ ذَلِكَ التّاريخِ الْمُغْرِقِ في الْقِدَمِ، لَمْ تُغَيِّرْ صورَتَها إِلّا قَليلًا. وَبِالْفِعْلِ فَإِنَّ مَنْظَرَها الْمُضْحِكَ يَشي بِماضيها الْعَريقِ. فَرَأْسُها رَأْسُ شَيْخٍ مُجَعَّدٍ خالٍ مِنَ الأَسْنانِ. وَمِنْ بَيْنِ السَّلاحِفِ البَرِّيَّةِ نَوْعٌ مِنَ السَّلاحِفِ الْعِمْلاقَةِ الَّتي نَراها في حَدائِقِ الْحَيَوانِ، وَالَّتي يَزيدُ حَجْمُها عَنْ حَجْمِ خَرُوفٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَلا يَغُرَّنَّكَ مَنْظَرُها الْمَهيبُ، فَهِيَ لا تَرْفُصُ وَلا تَعُضُّ، رَغْمَ حَجْمِها الْكَبيرِ. فَإِنَّها تَأْكُلُ الْحَشيشَ كَالْخِرْفانِ.

سَلاحِفُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ

وَبِالْفِعْلِ فَإِنَّ السَّلاحِفَ أَبْعَدُ ما تَكونُ عَنِ التَّجانُسِ فيما يَخُصُّ حَجْمَها. فَمِنْها الْعِمْلاقَةُ الَّتي قَدْ يَصِلُ طولُها إِلى مِتْرَيْنِ وَثُلُثِ الْمِتْرِ، وَالَّتي يَبْلُغُ وَزْنُها أَكْثَرَ مِنْ طُنٍّ واحِدٍ. وَخُصوصًا سَلاحِفُ الْبَحْرِ. وَمِنْها السَّلاحِفُ الَّتي لا يَزيدُ وَزْنُها عَنْ كيلو غرام واحِدٍ، أَوِ الَّتي لا يَزيدُ طولُها عَنْ 10 سم. وَفِي الْبَرِّ كَذَلِكَ تَعيشُ سَلاحِفُ عَظيمَةُ الْجَدِّ يَصِلُ طولُها إِلى حَوالي مِتْرٍ وَنِصْفٍ، وَوَزْنُها إِلى رُبْعِ طُنٍّ. وَإِنْ كانَتْ جَميعُها تُحِبُّ الْعَيْشَ في الْمَناطِقِ الْحارَّةِ بَيْنَ خَطَّيْ عَرْضِ 40 شَمالَ وَجَنُوبَ خَطِّ الإِسْتِواءِ.

البَيْتُ الْخَصيُّ

يَقولُ الْمَثَلُ الإِنْجليزِيُّ «حِصْنُ الإِنْجليزِيِّ بَيْتُهُ». وَهُوَ مَثَلٌ يَنْطَبِقُ تَمامَ الانْطِباقِ عَلى السُّلَحْفاةِ. فَبَيْتُها الْمُؤَلَّفُ

Scanned by TapScanner